

الحرب وإيقاع الموت

دراسة في ثلاث روايات عربية

أ.م.د. فاطمة بدر

كلية الفنون الجميلة /جامعة بغداد

Bader_fatma@yahoo.com

يتحدث البحث عن روايات الحرب وهي صرخة احتجاج ضد العنف والدمار ،عبر تصوير مأساة الانسان ووقوعه فريسة لهذا العنف .

ملخص بحث

الحرب هي ظاهرة اجتماعية تتصارع فيها قوتان أو أكثر كل قوة تريد ملء إرادتها على حساب القوى الأخرى ،لأنها ترى نفسها صاحبة الحق والسيادة في فرض القوة على الآخر .

إن الحرب والموت تكاد تكون اللغة السائدة في هذا الزمن ،وهي اللوحة الأكثر بروزا في الحياة ربما لأن الطبيعة البشرية تميل إلى الحروب في وقت النكوص ،فضلا عن إحساس البشر بأن حل المشكلات لا يتم الا بالحرب أو بفرض الإرادات بالقوة لسحق الآخر ومحوه.
لقد تم تسليط الضوء على موضوعه الحرب الأهلية في الروايات العربية الآتية :

١_رحلة غاندي الصغير للياس خوري

٢_اعترافات لربيع جابر

٣_زهرة لحنان الشيخ

War and Harmony of Death

War is a social phenomenon in which two powers or more conflict with each other to gain control and will ,because the winning power considers itself as the owner of right and mastery of imposing its rules over the losing one.

The controversy of war and death is regarded as the language of our time and it is the most recognized phase of our life.

This belongs to the human nature which tends to war during the time of fall. more over, people feel that problems, solving can be done either by war or by imposing will through the use of power in order to smash and erase others.

This study aims to spot light on the novels that deal with the subject of civil war like:

1_the journey of little Ghandi by Elias Khorl,

2-confessions by Rabie Jabber, and

3_Aflower by HananAl_Shaikh.

War and Harmony of Death

Dr. fatma B. Hussain

Professor Ass.

College of F in Arts\Baghdad Univesity.

تقديم:

الحرب هي ظاهرة اجتماعية تتصارع فيها قوتان أو أكثر كل قوة تريد ملء إرادتها على حساب القوة لأخرى؛ لأنها ترى نفسها صاحبة الحق والسيادة في فرض القوة على الأخر، وعلى مر العصور منذ قابيل وهابيل، وتراتب العنف يزداد يوماً بعد آخر وسلسلة الحروب بشتى أنواعها سواء كانت دولية أم اهلية فأنها تزداد بين الاقوام البشرية، ويدلنا التاريخ على محطات مهمة تبين نزوع الانسان نحو التوحش منذ حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، وحرب البسوس بين قبائل قيس بن وائل وصولاً إلى عصر الحروب والدمار الشامل وعصر التسليح، فأن قانون الصراع يحكم الكون ومهما كان شكل الوحدة الإنسانية امما وشعوبا .

الحرب ظاهرة طبيعية تبدأ بالمستوى البسيط من الأسرة وتصل ذروتها إلى مستوى الانسانية⁽¹⁾ هي عنف واعتداء على الآخر إما جسدياً أو نفسياً، أو سلب حريته، أو الغاء قدرة الشخص على إتخاذ قراراته، أو تجريحه والإساءة إليه .⁽²⁾ فهي إعلان عن الموت والرجوع إلى البداوة ويرى فرويد إن الانسان البدائي يمارس القتل عند شعوره بالعداء تجاه الآخر، ولكنه يشعر بالذنب والمرارة تجاه فعله هذا لذا نشأ تحريم القتل كرد فعل ضد شعور الكراهية.⁽³⁾

إن الحرب والموت، تكاد تكون اللغة السائدة في هذا الزمن، وهي اللوحة الأكثر بروزاً في الحياة ربما؛ لأن الطبيعة البشرية تميل إلى الحروب في وقت النكوص، فضلاً عن احساس البشر بأن حل المشكلات لا يتم إلا بالحرب أو بفرض الإرادات بالقوة لسحق الأخر ومحوه .

ولما كانت موضوعة الحرب واسعة جداً، لذا سعت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على موضوعة الحرب الاهلية لما لها من أثر بارز في حياة الشعوب من جهة، ومن جهة أخرى؛ لأنها شكلت أحد أبرز الموضوعات في الرواية العربية وقد اتخذت من الروايات الآتية أنموذجاً للدراسة :

١_ رحلة غاندي الصغير للياس خوري.

٢_ اعترافات لربيع جابر

٣_ زهرة لحنان الشيخ .

ثنائية الحرب والموت

إن ثيمتي الموت والحرب تعد واحدة ولكن طريقة الطرح تختلف من رواية إلى أخرى، كما إن أبطال الحرب هم اللصوص والقتلة، والمدينة _ هي مسرح الأحداث_ هذه البقعة الجغرافية هي واحدة سواء كان ذلك في العراق أم لبنان أم فلسطين، أم الجزائر، أم اليمن أم السودان.

إذ تعاني المدينة من الخراب والدمار والالم، والقتل العشوائي، اللصوص والقتلة تركوا بصمات مؤثرة فيها، وعلى مجرى أحداث التاريخ؛ لأنهم حرقوا المدينة، ونهبوها، وارتكبوا أبشع الجرائم والاعتداء في حقها وحق ناسها .

ويمكننا أن نطلق على مثل هذه الروايات (زحل يلتهم ابناءه) وهذه إشارة إلى لوحة غويا، فزحل اله الزمان، وابتاؤه كانوا يمثلون السماء والماء والموت واعتقد الرومان ان هؤلاء الثلاثة لا يمكن لزحل القضاء عليهم؛ لأنهم ابتاؤه. واعتيد في ذلك الزمان على إن قطع صلة الرحم بين أبناء المدينة الواحدة يؤدي إلى إحلال اللعنة والغضب على المدينة برمتها، واعتيد في ذلك الزمان أيضا على إقامة الاحتفال للاله زحل في منتصف فصل الشتاء لمدة سبعة أيام وكان مناسبة للزيجات، وكان الاباء في هذه المناسبة يهدون لأبنائهم الهدايا ولكن غويا قلب الموضوع إذ أعطى صورة مغايرة لأنه أراد أن يرمز إلى الحرب الاهلية في اسبانيا فقد حلت عليهم اللعنة، لأنهم قطعوا صلة الرحم بين أبناء المدينة الواحدة. وكان اعتقاد القدماء ان القتل بين الأبناء، أو بين افراد العشيرة الواحدة يغضب الاله فتحل عليهم اللعنة . . رواية أخرى وتقول زحل يلتهم أبنه على أثر نبوءة تقول إن أحد أبنائه سيهزمه. وهنا يأتي المضمون (إن الحرب الاهلية تقتل أبناءها).

انطلقت الرواية العربية لتعبر عن المشهد المأساوي للحرب مثل روايات المقاومة، والانتفاضة، وقد صورت هذه الروايات رد الفعل الشعبي ازاء الاحتلال وما جرى من حروب، وويلات، ولكن هناك روايات عبرت عن الوضع الأكثر مأساوية وهي الحرب الاهلية لاسيما الحرب اللبنانية وتبعاتها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والنفسية، التي شغلت مساحة واسعة من النتاج الروائي. ورواية الحرب لاتنهض على افتراضات وهمية، ولاتتشكل من حكايات فرعية إنما تنهض على وقائع حقيقية، واحداث عسكرية ومسائل انسانية. لقد احدثت حرب ١٩٦٧ بنتائجها السلبية على العرب ردة فعل قوية لدى الاوساط الثقافية فضلا عن إنها احدثت هزة عميقة في

مفاصل المجتمع العربي، أثرت في السياق العام تأثيرا كبيرا في البنى الاجتماعية والثقافية، والفنية، والأدبية. فعند استقراءنا للرواية ليس في الرؤى فحسب وإنما في أساليبها المتحولة على وفق تطورها، وتغيير اتجاهاتها، نروم تسليط الضوء على روايات عالجت موضوع الحرب والموت وهي موضوعة ليست جديدة، إنما هي من الموضوعات القديمة بيد أنها تطورت سبلها، وأساليبها على وفق تطور الرواية، ما يعيننا اليوم هو دراسة روايات عنيت بموضوعة الحرب الأهلية التي أرى فيها الكثير من الحرب الأهلية العراقية* اليوم الوجوه نفسها، والأدوات نفسها، القتل المجاني على الهوية، الرعب والإعدامات، الذعر والهول من الموت؛ لأن الموت هو القانون الأرضي في هذا الزمن، نجد كل شيء مقفرا، إذ تعاني المدينة (بيروت أو بغداد) من الخراب والدمار والقتل العشوائي.

إن ثيمة الموت والحرب هي واحدة ولكن طريقة الطرح تختلف من رواية إلى أخرى لأن الروايات جميعها تسلط الضوء على المحنة الطائفية، إنسان محاصر بالعنف، وإحساسه بالقهر والألم وبعد استقراء عدد من النصوص الروائية وقع اختيارنا على الروايات الآتية: رواية رحلة غاندي الصغير للياس خوري، ورواية اعترافات لربيع جابر، ورواية زهرة لحنان الشيخ.

إيقاع الموت في رحلة غاندي الصغير

صورت رواية (رحلة غاندي الصغير) للياس خوري مذابح صبرا وشاتيلا، طرحت الرواية حكاية عبد الكريم حصن الاحمدي الملقب بغاندي الصغير وانتقاله من مهنة إلى أخرى فاشتغل ماسح الأحذية، وصاحب مطعم، ونادلا في المقهى، عاش غاندي مع زوجات أبيه، وتزوج من ابنة عمه فوزية. هيمن إيقاع الموت على الرواية منذ الصفحة الأولى إلى نهاية الرواية وسيطر على حركة الشخصوص وإتخذ بعدا مغائرا لما هو مالوف إذ يحصد الموت العشرات من أرواح الأبرياء بطرقه المختلفة إذ يتعدد الموت. ويتنوع من موت بالقصد، والموت بالصدفة، والموت العشوائي هو المناخ العام المسيطر على الأجواء فضلا عن الموت الكلي الشامل؛ لأن مجازر لبنان ودخول إسرائيل واجتياحهم بيروت ((يعد نذير شؤم على بداية تحول مسار مصير اللبنانيين، فالمذابح والمجازر التي نفذها الصهيانية ضد اللبنانيين تعد من قبيل حصاد الموت الكلي الشامل)) لهذا عاشت بيروت في حالة قصوى تأهبا للحرب.

تفتح الحكاية بالموت وتنتهي بالموت يقول ((كلهم ماتوا ذهبوا إلى هذه الإلى إلى آخره ولم يرجعوا لا أعرف إذ كانت نجاه ماتت لكن الأكيد أن الفران العجوز رشيد مات والباقون لا أعرف .حتى موت عبد الكريم الذي يفتح الحكاية كلها ليس مؤكدا أنا لم أراه يموت في الحقيقة لم أكن حين مات ..))^٥

نجد أن أبطال الرواية يهيمن عليهم الضياع، والتشتت، والتشظي ويرجع السبب في ذلك إلى هول الصدمة من الحرب . أراد الكاتب أن يعبر بطريقته الخاصة عن منظور الحرب على وفق رؤياه بصياغة لغة جديدة هي نوع من التجريب في منطوق الذاكرة الشفوي المعرض بسبب هذه الحرب للمحو والموت والنسيان، لقد هيمنت لغة الموت على الرواية؛ لأن لبنان تعيش حربا مدمرة يقول الراوي : ((كانت بيروت مختلفة في ذلك الصباح ،كان الصباح يحمل رائحة الموت مسلحون في كل مكان وحركة ،كأن الذين ماتوا لم يموتوا ،كأن الحرب لم تنته كأنها بدأت))^٦ . ويبدو ان الحقيقة ملتبسة بين التذكر، والمعيش بين الماضي وتحوله إلى ذاكرة والحاضر وتحوله إختلاف؛ لأن ((الحقيقة هي إمتزاج حكايات مختلفة في منطقة ملتبسة تجعل المؤكد محتملا والرؤية ناقصة))^٧ ويبدو أن الشاهد الوحيد على موت غاندي هي إليس يقول : ((قالت إليس انه مات ،جئت ورأيت ،غطيته بالجرائد ،لم يكن أحد زوجته اختفت ،كلهم اختفوا ،بقيت وحدي ،قالت إليس أنها أخذته إلى المقبرة ،ورأت الناس بلا وجوه ،ولم تسمع اجوبتهم))^٨ وتقول ((إن حصن مات ،ذهب إلى الحرب ومات ،ألم تسمع الموت قالت لي:كل الشباب راحوا إلى الموت كانوا يضربون القذاف، ويصرخون))^٩

يعرف الراوي وعلى الرغم من معرفته ينفي ما يعرفه وهو ما يطلق عليه ب(نفي الإيهام) لما يمكن أن يوهم باليقين أو لما يمكن أن يظنه القارئ حقيقه فعلية أكيدة إنه من باب التشكيك في قدرة الكلام ،أو في قدرة المتخيل الحكائي على أن يكون حقيقيا بذاته أو بعلاقته مع الواقعي ،أو مع معنى واحد ،ليس هو في حكايته سوى وجه قابل للتعدد وتعدد المرايا^{١٠} زمن الحرب هو زمن الإجتياح الإسرائيلي لبيروت يلغى فيه التنامي الزمني والمنطقي في الرواية ويؤدي هذا على حد تعبير (ميشال بوتور) إلى حصولنا على تركيبية معقدة من الإزمنا فنحن نعيش الزمن كأنه استمرار الا في بعض الأوقات .^{١١}

يصف الراوي زمن الحرب زمن تلاشت فيه العيون وغطى فيه الماء الكثير كل شيء ،الزمن الذي تلا الاجتياح الإسرائيلي لبيروت ،وخروج الفلسطينيين منها وإنتهاء الحكاية _حكاية الحرب _بموت غاندي الصغير ((صباح ١٥ /أيلول /١٩٨٢ وهو ابتداء

الرواية عن حرب تحولت إلى قتال ضد إسرائيل ومن مقاومة ،إلى حرب أهلية ،إلى اقتتال هو في منظور الرواية عبثي))^{١٢}

إ عتمدت هذه الرواية على اللازمة التي تتكرر في مستهل كل مقطع،كما

إن حدث مقتل سرد (غاندي) مرات عديدة ،وباسلوب واحد يعني توقف جريان الزمن ،وأن الحدث يسرد ضمن الوقائع ،لأن الواقعة تندغم في زمن الرؤية الأولى ،وينتج عن هذا أيضا تكرارية في المشهد الموصوف ،وفقدان عنصر تدرج الحدث ، وفقدان التشويق ،وسيادة طابع الملل ،كما أن تدمير الزمن يؤدي إلى انفجار زمن القصة المتخيلة كما يقول ريكاردو .^{١٣}

ويعد مقتل غاندي في رواية (رحلة غاندي الصغير)لحنا رئيسا يتردد في كل فصل ،وان حدث تغيير في الفصل الأخير ،فإن الفصول السابقة تمثل تكرارا حرفيا للحدث ،ويطلق على هذا البناء بالبناء المكرر (الهارموني) الذي يفيد التأكيد ،والترسيخ ،والثبات في الزمن وهو اللحن الدوار الذي يبرز ، ويختفي بحسب ضرورة النثر الروائي مكونا محور الربط بين أقسام الرواية وفصولها.^{١٤}

وظة الحرب في رواية إعرافات

أما رواية ربيع جابر (إعرافات)فهي الأخرى تتحدث عن الحرب اللبنانية في العامين ١٩٧٥ _ ١٩٧٦ تبدأ الرواية ب ((أبي كان يخطف الناس ويقتلهم .أخي يقول إنه رأى أبي يتحول في الحرب من شخص يعرفه إلى شخص لايعرفه .هذا أخي الكبير .أخي الصغير لم أعرفه ،أعرف صورته ،أعرف وجهه ،يشبهني في الصور كان يشبهني أكثر مما يشبه أخي الكبير .أسميه أخي الصغير وكنا كلنا في البيت نسميه في رؤوسنا نسميه ،حتى من دون أن نذكره ونحن نحكي ،كانت صورته تملأ البيت ماذا كنت أقول ؟أسميه أخي الصغير ولم يكن أخي الصغير ولكنه الصغير لأنه ظل صغيرا ،لأنه لم يكبر ،لأنهم قتلوه وهو صغير))^{١٥} .الأب فيليكس يقتل الآخرين من الطرف الثاني؛ لأن أبنة مارون خطف من قبل الطرف الثاني وقتلوه فكانت ردة فعله قوية لذا بات ينتقم من الآخرين ويقتلهم بوحشية بين بيروت الشرقية وبيروت الغربية سيارة مدنية تخطيء في الطريق يقوم فيليكس بقتل من فيها ماعدا طفل صغير يسقط من ذراع والدته ويكون مصابا ببعض الطلقات النارية في صدره في تلك اللحظة يتحول فيليكس الشرير إلى شخص إنساني لقد ايقظ هذا الطفل شعوره الأبوي تجاهه لذا يتلقفه ويحتضنه ،ويداويه ،ويربيه، ويسميه باسم أبنة الذي فقده مارون لقد أصبح هذا الطفل بديلا عن ابنة

الذي فقده لذا تتحول حياته من القتل إلى تربية العصافير ،يعيش مارون مع عائلته الجديدة ويتخرج مهندسا من الجامعة الأمريكية

الحرب هي البيئة الأساس لرواية إترافات يروي مارون قصة حياته مع أهله الذين ربوه لأنه لايعرف عن اهله الحقيقيين شيئا ،لأنه لايتذكر شيئا عنهم سوى صور ضبابية يتذكرها بين حين وآخر وأحيانا تأتيه في الأحلام يروي مارون لربيع جابر الحكاية كلها ويقول له ((إذا كتبت يوما حياتي في كتاب ياربيع أرجو أن تبدأ قصتي بهذه الجملة :قوصوني على خط التماس الذي يقطع بيروت إلى نصفين عام ١٩٧٦ ،وأبي حملني وأخذني إلى بيته)).^{١٦}

وهذا يعني ان النفس الإنسانية تحيا بالحب حتى وأن حضرت الكراهية، فإن الحب يغيب ولكنه لايموت ؛((لأن الشر ليس مطلقا ،والخير كذلك ويرى فرويد أنه ينذر أن يكون الإنسان خيرا تماما أو شريرا على وجه الإطلاق ،ولكنه يكون عادة خيرا في ناحية وشريرا في أخرى ،أو خيرا في مواقف وشريرا في غيرها)).^{١٧}

يتحول الإنسان إلى صورة وحشية في مواقف وتدفع مشاعر الكراهية نفسه إلى القتل منذ بدء الخليقة وفي قصة قابيل وهابيل افضت حالة القتل إلى ندم بعد انحسار مشاعر الكراهية وهذا مانجده في شخصية فيليكس بعد حالة القتل والتدمير التي شنها على الطرف الآخر؛ لأنهم قتلوا ولده ولكن بعد إنحسار مشاعر الكراهية تحول إلى إنسان حساس يقوم بتربية العصافير ولكن النص الروائي يكشف عن ازدواجية الإنسان في رؤيته إذ يوبخ ابنه ويهدده بالقتل عندما يسرق ممتلكات الآخر غنائم الحرب لأن فيليكس كان يفخر هو ومعارفه بأن يده ظلت نظيفة ،فهو لايريد غنائم الحرب على الرغم من المهجبة والقتل والثار ،الا أنهم يتحلون ببعض الأخلاق التي تتمثل برفض الاستيلاء على ممتلكات الآخر ،ولكنه لا يشمنز من القتل.

يواصل الجميع حياتهم وكأنهم وجدوا فقيدهم يتوقف الأب عن القتل ويملاً حياتهم الحب ؛لأنهم عثروا على بديل لأبنهم على شيء يشفي غليلهم؛ لأن الحب عندما يحضر على المستوى الفردي والجمعي يتقبل الآخر مهما كان نقيضه فيستطيع معاشته والتجاذب نحوه لأنهما نقيضان، ونحن نعلم إن النقيضان ينجذبان إلى بعضهما البعض وليتحدوا وعندما يتحد النقيضان تولد الحياة ولهذا فان الحب والحياة هما الشيء ذاته.^{١٨}

وهذا ما نلمسه في سؤال (الفوال) صاحب المطعم يسأل مارون دائما ليعرف مقدار الحب والكراهية تجاه من ربوه هذا السؤال هل ((أحب أمي ؟ أو يسألني من أحب أكثر

لم تكن أسئلته غريبة ولكن صوته .بتغيير شيء في صوته عندما يقول هذه الكلمات ..كنت أنتبه إلى ضوء غريب في عينيه عندما يسألني تلك الأسئلة .كأنه يركز قوة نظرتة على نقطة محددة في وجهي ،كأنه يريد أن يخترقني بتلك النظرة ،وأن يكشف السر الذي أخفيه .لكن ما هو السر؟^{١٩}

أما إيليا فكان ((يفعل مثله أحيانا .أثناء (حرب المئة يوم)والقصف العنيف يحجزنا في الصالون ليلا نهارا،كنت أراه يحق إلي بتلك النظرة الغريبة :كأنه يريد أن يرى أعماقي .لا ،ليس أعماقي ،لا أدري كيف أقول ما أريد أن أقول .كأنه يريد أن يرى شيئا لايقدر أن يراه)^{٢٠}

ويقول كذلك:

((في حرب المئة يوم كان ينظر إلي ،ثم ينظر إلى الصورة المعلقة على الحائط وفي زاويتها الشريط الأسود ثم ينظر إلى أمي التي تنتظر إليه ..وأذكر عندما كان يأتي إلى المدرسة ليأخذني إذا بدأ القصف .يأتي الجيب المكشوف ويدخل إلى قلب المدرسة .لأحد يقدر أن يمنعه ،يأخذ مني الحقيبة الثقيلة ويقول (بسرعة ،بسرعة)وفي لحظة نصل إلى البيت)^{٢١}

نلا حظ أن (إيليا) ينتابه شعور مزدوج بين الحب والكرهية لمارون فهو ينظر إلى أخيه المقتول وينظر إليه ويتسأل في نفسه : أيمن أن يحل هذا الغريب محل أخاه لايجد جوابا، ولكنه مع ذلك يتقبله نوعا من الشفقة على أمه وأبيه، وعلى الرغم من أن مارون يعرف جيدا من قتل والديه (بعد أن كبر)ولكن مشاعره لاتتغير ربما لأن((البيئة والتربية العاملان الرئيسان الخارجيان لصياغة الذات الانسانية وتشكيلها فهما يغرسان في الانسان حب الخير بحيث يأتي من تلقاء نفسه وتبادلته البيئة حبا بحب وتهبه المزاي والمنافع كنتيجة للحب الذي يؤثرها به)^{٢٢} .ربما هذا السبب الرئيس الذي يختلف ربيع جابر في قصته هذه مع غسان كنفاني (عائد إلى حيفا)وقصة سيدنا سليمان مع المرأتين التي بنى عليها برخت مسرحيته الشهيرة (دائرة الطباشير القوقازية)وقد أشار عادل الاسطة في مقالته (إعترافات ربيع جابر ..وجنون الحرب)بأن مارون وهو يقص سيرة اهله الذين ربوه ونشأ بينهم ويغدوفيليكس أباه وتغدو زوجة فيليكس أمه ،وفي حين رواية غسان كنفاني (عائد إلى حيفا)تدور أحداثها حول شخصية خلدون إذ يربي ايفران وميرمام خلدون الذي تخلى عنه والداه في غمرة أحداث ١٩٤٨ وعادا ليرياه في أثر حرب ١٩٦٧ إذ تخليا عنه لاطوعا ولا رغبة ..وإنما لحظة جنون شهدته المدينة

بسبب الحرب وحين يعود الوالدان لأخذ أبنهما يرفض الولد العودة، ويصر على البقاء مع والديه اللذين ربياه))^{٢٣} هنا نقف عند مسألة التربية التي تفوق الولادة (الام المربية تفوق الام البيولوجية) والتربية عامل مهم في صناعة الذات الانسانية . هذه القصة وقصة سيدنا سليمان والمراتين، وقد بنى برخت مسرحيته المشهورة (دائرة الطباشير القوقازية) ولكن رواية ربيع جابرتختلف عن بقية القصص في كون مارون يتيم قد قتل والداه وقاتل أهله هو من يربيه ويعيش في كنفه وهذه مفارقة كبيرة ،ولكن هذه الحياة وهذه النفس الانسانية ، وقد نستقي من غاندي الحكيم بعض نصائحه عندما سأله هندوسي كان يروقه قتل المسلمين ،إذ يحس بالعداء الشديد تجاه المسلمين وقد صور هذا في فلم المهاتما غاندي ،يقف الهندوسي أمام فراش المهاتما وهو في إضرابه عن الطعام ،إحتجاجا على الحرب الاهلية التي دارت بين المسلمين والهندوس ،التي أدت إلى تقسيم البلاد يقف الهندوسي باكيا طالبا لتطهر من جريمة إقتربها ضد طفل مسلم فقد أخذ الهندوسي هذا الطفل من بين يدي أمه وامسكه من رجليه ،وضرب رأسه بالجدار حتى تتأثر مخه ليتنقم من جريمة الحرق والتدمير الذي أصابته فكان يتعذب لجنايته فيطلب من المهاتما أن يرشده إلى طريقة يتخلص من هذا العذاب فينصحه بأن يأخذ طفلا مسلما ،ويرببه في بيته على أن يبقى الطفل على دينه وهذا يعني التقارب والتداخل يقتل الحقد، ويبعد الضغينة مهما كبرت . وبما أن غاندي كان يعتقد مذهب (الأهمسا)أي امتناع عن قتل الكائنات لذا فإن نصيحته بتربية طفل مسلم هي نوع من التطهر والتخلص من الكراهية .لذا فإن التحول في شخصية فيليكس هو تحول طبيعي من غياب التسامح والعدل والوعي وحضور التصلب والتمسك بالرأي إلى التسامح المملوء بالحب لذا مهما عظمت الكراهية والحقد فإن الحب أعظم وباق لايموت .في نهاية الرواية وبعد إخفاق مارون في معرفة اهله الحقيقيين يذهب إلى الكافتريا ،ويأكل كاتو ويقول اكلت القطعة وشعرت بارتياح.^{٢٤}

المكان وجدلية الحرب والموت

في رواية (زهرة) لحنان الشيخ تميزت شخصية حنان بإزماتها النفسية مما يدفعها إلى العزلة والانكفاء على ذاتها والانزواء بالبيت ،ثم جاءت الحرب فزادت من هذا الوضع إذ إن الاشتباكات المسلحة والمعارك المشتعلة تفرض على الناس الانزواء في البيوت وعدم الخروج منها فهي فرضت على نفسها حصارا وفرضت الحرب عليهاحصارا أخرأ جعلها تعيش في حالة رعب، وخوف، وعدم الشعور بالامان لذا باتت أحلامها مفزعة فيها رعب، وتعذيب ،وجلد متواصل حتى وهي في الفراش كانت تقضي الليل

في طوله بعراك و...تقول : ((كنت أنهض في الصباح التالي وكل عظام جسمي مرضوضة وكأني قضيت الليل الماضي ممددة على الفراش ،بينما انحنى علي رجلان بسوطيهما يجلدانني بتواصل .أنهض وجسمي كله قد تكسر .لأستطيع حتى التحرك خوفا من أن يتفكك ،بينما تبرز عروق زرقاء تحت عيني لدرجة أنها كانت تبدو ككدمات بنفسجية))^{٢٥} . يبدو أن العلاقة الجدلية بين الانسان والمكان هي علاقة تفاعلية جدلية في ضوئها ، تتوالد الدلالات النفسية، والاجتماعية، والعقائدية ..التي ترتبط بالمكان أو تترشح عنه في ضوء شعور الشخصية ،وسلوكلها الخاص في حيزها^{٢٦}

إن شعور الانسان بالعداء تجاه الاماكن تتحدد في عدم قدرة الفرد على التعايش مع ذاته موضوعيا ، واجتماعيا بفعل معيقات خارجية سيطرت عليه ، وحين تجد الذات الانسانية هويتها في المكان يصبح هذا المكان اداة فاعلة في تكوينها والتأثيرها فيها ولكن عندما يقيم المكان فجوة بين الانسان وذاته وبينه، وبين الاخرين وتكون الاشياء عبارة عن منفى نرى فيه صراع التاريخ وعداءته وتتضح فيه الجوانب المتضادة للحياة والاشياء خوف ، واما، وحب وكره، والفه، ووحشة حياة وموت^{٢٧}

كان الشارع الذي تعيش فيه زهرة فيه تناقض، ففي نصفه الأول يعمر بالحياة بينما يسيطر على النصف الثاني الموت حيث انتشار المسلحين في كل مكان وترى زهرة عبر نافذتها المسلحين وهم يقومون بفعلهم الاجرامي يقودون عشرات الشباب والرجال المخطوفين، ويزجونهم في مرآب البناية المقابلة من غير أن تتمكن من إنقاذهم أو مساعدتهم أو تحريرهم وهذا كان يسبب لها عقدة نفسية فهي تريد القضاء على هذا العنف بتخليص هؤلاء من التصفية الجسدية لذا كانت تصرح عن آلامها بقولها

((دخلت الحرب بيتنا وما عدت مطمئنة أغمض عيني وعقلي على رنين الرصاص والصواريخ .الثغرة التي أخذت تفتح الجدران قنحت فوهة بركان في أعلى رأسي لذا أنا أمسك هذا الرأس ليلا نهرا.بينما جروحي لاتزال تضغط على ألمي وألمي يضغط عليها، وأعض اصابع يدي حتى أرى النوم يختلط بازرقاق لحمي))^{٢٨} لقد كانت تراقب القناص في المطعم المقابل للبيت بعد أن كانت قد لحظته منذ اشهر على السطح المجاور لغرفة عمتها هذا الهوس لاتستطيع التخلص منه ، وكان هذا يشكل لها حالة من الغضب، والخوف ، والغضب هو وسيلة تستعين به الميول اللاشعورية لتشبع نفسها إشباعا رمزيا للقضاء على حالة من التوتر لاتطاق ويرى علماء النفس بأن الغضب هو إشباع رمزي لميول جنسية فثمة مماثلة بين الواقعة الشعورية والرغبة التي تعبر عنها ؛لأن الواقعة الشعورية رمز من حيث تعبيرها عن العقدة²⁹ ، شخصية القناص هي من

الشخصيات المريضة سايكولوجيا، وهي تسعى للاحاق الآذى بالآخر من أجل أن يرضي ساديته، ومن شعوره بالنقص أرادت زهرة أن تخلص الناس من القناص باستسلامها له، وهذا حل ضعيف ومربك، ودليل على جنون زهرة فهي إنسانة ليست سوية فهي لاتفكر، ومن جهة أخرى تريد القول بان البطلة إختارت الجنس لتقاتل صانعي الحرب والموت والارهاب في حيهم، بينما هي في الحقيقة أرادت أن تحرر نفسها من مخاوفها، وهواجسها وخلصت نفسها من الانفعالات بممارسة الجنس كنت أتمنى أن تعالج الموضوع بطريقة أفضل وأكثر رصانة مثلا بالحب تكافح البطلة القتل والدمار بعد تحول القناص إلى إنسان محب، إذ لم يحدث لزهرة تحول في شخصيتها ولم يحدث تحول في شخصية القناص فبعد أن كشفت زهرة له معرفتها بعمله قتلها، بينما نجد في رواية إقرافات حدوث تحول في شخصية الاب فبعد أن كان قواص تحول إلى إنسان محب بدأ بتربية العصافير، واحتضن مارون وجعله أبنا له

هنا بعد مشاهدة زهرة للمخطوفين تقول لم أعد أنا زهرة وتحولها إلى ((لبوة جرحت جروحا طفيفة في كل أنحاء جسمها، ثم لبوة جرحت جروحا عميقة في قلبها))، لأن مشاهدتها للمخطوفين ومنعها من قبل والديها من الخروج من الباب، ثم متابعة التدخل من النافذة يحولانها إلى لبوة سجيئة.***^{٣٠}

الخاتمة :

إن أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي الآتية :

_جدلية الحرب والموت هما اللغة السائدة في هذا الزمن ،وهي اللوحة الأكثر بروزا في الحياة .

- تم تسليط الضوء على المحنة الطائفية وتبعاتها الاجتماعية ،والاقتصادية ،والسياسية ،والنفسية ،؛لأن الوضع السائد أكثر مأساوية فهو إعلان عن الموت والرجوع إلى البداوة .

_ عالجت الروايات موضوع الحرب والموت وهي موضوعة ليست جديدة ،وإنما هي الموضوعات القديمة ،بيد أنها تطورت سبلها وأساليبها على وفق تطور الرواية .

- أبطال الحرب هم اللصوص والقتلة ،والمدينة هي مسرح الأحداث هذه البقعة الجغرافية هي واحدة سواء كان ذلك في العراق ،أو لبنان ،أو فلسطين ،أو الجزائر نأو اليمن ،أو السودان .

_ هيمن على الروايات إيقاع الموت وسيطر على حركة شخصها ،إذ هيمن على هذه الشخصيات التشتت ،والضياع ،والتنثني ،ويرجع السبب إلى هول الصدمة من الحرب.

_ عبر الكتاب عن الحرب الأهلية على وفق رؤياهم ،وعبر تجريب صياغة لغة جديدة في منطوق الذاكرة الشفوي المعرض بسبب هذه الحرب للمحو ،والموت ،والنسيان ،وطغيان لغة الموت على الرواية ؛لأن لبنان تعيش حربا مدمرة .

في الحروب يتحول الإنسان إلى صورة وحش ؛ لأن الحب غاب عن النفس الإنسانية حل محله الكراهية لكن الحب لايموت لأن الشر لايمكن أن يكون مطلقا وكذلك الخير ،كما أن حضور الحب على المستوى الفردي والجمعي تولد الحياة ويتقبل الإنسان الآخر مهما كان نقيضه ويستطيع المعاشة والتجاوب معه.

_ التربية عامل مهم في صناعة الذات الإنسانية وتشكيلها لأنها تغرس في الإنسان حب الخير فلا نرى مشاعر البطل مثلا تجاه من ربوه حتى بعد أن عرف هم من قتلوا والديه الحقيقيين.

تجد الذات الانسانية هويتها في المكان ويصبح المكان اداة فاعلة ومؤثرة في تكوين الشخصية،ولكن عندما يكون هناك فجوة بين الذات والمكان تتضح الجوانب المعادية والمضادة للذات فتظهر على سطح الافق الخوف،والكره،وانعدام الأمن الأمانولوجود عوائق تحيل دون التألف .

_شعور الشخصية المحاطة بالعنف بعقد نفسية،لذا تريد التخلص من هذا العنف وتريد تخليص الناس من التصفيات الجسدية .

_ثمة مماثلة بين الواقعة الشعورية والرغبة التي تعبر عنها البطلة حلأن الواقعة الشعورية رمز من حيث تعبيرها عن العقدة .

الإحالات

1_صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي،صومائيل هنتغتون،تر مالك عبيد أبو شهيوه محمدخلف ٩٨/ ٩٩ .

2_الفن والعنف،طلال معلا وآخرون،دائرة الثقافة والاعلام،الشارقة، ٣٢ .

٣ _ثقافة الحب والكرهية ..الموت في رواية خالتي صفية والدير،لبهاء الطاهر،ديمها القصراوي،مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثالث عشر،لسنة ٢٠٠٨ .

*ينبغي لاننسى رواية علي بدر (حارس التبغ)هي أول رواية عراقية تحدثت عن أحداث العراق بعد ٩/٤/٢٠٠٣.ثيمتها تتضمن ان الهويات القاتلة التي أحدثتها الحرب الطائفية في العراق هي إختراع وهي مفتريات سردية هذه الهوية ليست جوهرًا ثابتًا ومطلقًا .

٤ _دراسة دلالة الموت والذاكرة في رواية رحلة غاندي الصغير لالياس خوري ، خالد عبد اللطيف،منتديات مجلة النهار الأدبية موقع الكتروني.

٥_رحلة غاندي الصغير للياس خوري،٧ .

٦_م/ن ١٩٨ .

- ٧_ مداخلة نشرها الياس خوري في جريدة النهار ينظر فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، يمنى العيد، ١٥٩ .
- ٨_ رحلة غاندي الصغير للياس خوري، ١٢ .
- ٩م/ن ١٦٠ .
- ١٠_ فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، يمنى العيد، ١٥٨ .
- ١١_ بحوث في الرواية، ميشال بوتور، ١٠٠٠ .
- ١٢_ فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب ١٥٧ .
- ١٣_ قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردوا، ٢٧٣ .
- ١٤_ بين الأدب والموسيقى، أسعد محمد علي، ٧٤ .
- ١٥_ إقرافات، ربيع جابر، ٩ .
- ١٦م/ن ٣١ .
- ١٧_ الحرب والحضارة والحب والموت، سيجموند فرويد، عبد المنعم حنفي، ٢٥ .
- ١٨_ الحب في إزدواجية الكون، فلاديمير جيكار نيتسف، ترريما ماجد علاء الدين، ١٤١ .
- ١٩_ إقرافات، ربيع جابر، ٤٩ .
- ٢٠م/ن ٤٩ .
- ٢١م/ن ٥١ .
- ٢٢_ الحرب والحضارة والحب والموت، سيجموند فرويد، تر عبد المنعم حنفي، ٢٥ .
- ٢٣_ إقرافات، ربيع جابر.. وحنون الحرب، عادل الاسطة،
- ٢٤_ إقرافات، ربيع جابر، 142
- ٢٥_ زهرة، حنان الشيخ، ١٤٨
- ٢٦_ المكان منفي، أساليب السرد في الرواية، صلاح فضل، ٢٩ .

٢٧_م/ن

٢٨_زهرة ،حنان الشيخ ،١٥٥ .

٢٩_ الانفعالات في نظرية التحليل النفسي ،جان بول سارتر ، منتدى الشفاء النفسية
٣٠.ينظر فضاءات السرد ومدارات التخيل الحرب والقضية والهوية في الرواية
العربية ،سامي سويدان ،٣٦.**اللبوة الجريحة إشارة إلى اللبوة المحتضرة أو الجريحة
في بلاد آشور فقد صور أحد الأسود وهو ينبش مخالفه في بطن حصان الملك يحفظ
رأسه وينشب فيه رمحه بضربة قوية فاللبوة المحتضرة التي اخترقت جسمها ثلاثة
سهام ،ماتزال محتفظة بقوة كافية لأن ترفع نفسها على قائمتيها الاماميتين وطرفيها
الخلفيتين يسحلان بصورة متوازية على الأرض على الرغم من أنها في آخر رمقها الأ
أنها متيقظة بكل جلاء تقاوم الموت ،و تريد أن تموت حياة عزيزة .ينظر بلاد آشور
،اندريه بارو ،تر د. عيسى سلمان وسليم طه، وينظر الرواية ١٥٤

المصادر والمراجع :

١-المصادر :

- ١-إعترافات ،ربيع جابر ،دار الآداب للتوزيع والنشر ،بيروت ،لبنان ،ط٨،٢٠٠٨ .
- ٢-رحلة غاندي الصغير ،الياس خوري ،دار الآداب للتوزيع والنشر ،بيروت ،لبنان ،ط١ ١٩٨٩ .
- ٣-زهرة ،لحنان الشيخ ،بيروت ،دار الآداب ،ط٢، ١٩٨٩ .

٢- المراجع :

- ١-أساليب السرد في الرواية العربية، د.صلاح فضل، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط٢٠٠٣، ١.
- ٢-بحوث في الرواية، ميشال بوتور، فريد أنطونيوس، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٧١.
- ٣-بلاد آشور، اندريه بارو، تر عيس سلمان، وسليم طه، دار الحرية للطباعة.
- ٤-بين الأدب والموسيقى، أسعد محمد علي، دار أفق عربية للصحافة والنشر، بغداد العراق، ١٩٨٥.
- ٥-الحب في ازدواجية الكون، فلاديمير جيكار نيتشف، تر ريما علاء الدين، دار علاء الدين، دمشق، ط٢٠٠٣، ١.
- ٦-الحرب والحضارة والحب والموت، سيجموند فرويد، تر عبد المنعم حنفي، دار المامون، للطباعة، القاهرة، ط١٩٧٧، ٢.
- ٧-صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، صومائيل هنتغون، تر مالك عبيد أبو شهيوه، محمد خلف، دار الجماهير، مصر، ١٩٩٥.
- ٨-فضاءات السرد ومدارات التخيل الحرب والقضية والهوية في الرواية العربية، سامي سويدان، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط٢٠٠٦، ١.
- ٨-فن الرواية العربية بين خصوصية الحكاية وتميز الخطاب، يمنى العيد، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨.
- ٩-الفن والعنف، طلال معلا وآخرون، دار الثقافة والاعلام الشارقة، ط٢٠٠٠، ١.
- ١٠-قضايا الرواية الحديثة، جان ريكاردوا، تر صالح الجهميم، وزارة الثقافة الأرشاد، دمشق، ١٩٧٧.

شبكة المعلومات :-

١ اعترافات ربيع جابر وجنون الحرب ، عادل الاسطة ، شبكة الأخبار الكتاب
www.alshefee.com الفلسطينيين.

٢ دلالة الموت والذاكرة في رواية رحلة غاندي الصغير ، منتديات مجلة النهار الأدبية
www. Al nahar .com

٣ الانفعالات في نظرية التحليل النفسي ، جان بول سارتر ، منتدى الشفاء النفسية ،
www. Al khbar .com

المؤتمرات

1- مؤتمر جامعة فيلادلفيا الثالث عشر ، للعام ٢٠٠٨ المعنون بثقافة الحب والكراهية ،
ثقافة الحب والكراهية في رواية خالتي صفية ، بهاء طاهر ، د.مها القصراوي .